البرونز الاتروسكي في حوران ▪

توماس ڤيبر

ترجمة : جودت شحادة

كان الإنتاج المعدني الاتروسكي رائجاً في العالم القديم على نطاق واسع، وقد أنتجت الأواني البرونزية في ورشات ڤولتي وشيرفتيرة، حيث انتشرت للاستخدامات المنزلية في ايطاليا واليونان وقد وجدت على شكل نذورات في الأماكن المقدسة المشهورة كمدن دلفي، أولمبيا وساموس. إن المكتشفات الاتروسكية نادرة حتى الآن وقد قرر ذلك في مدينة ليڤانت الايطالية والأمثلة عليها عديدة كالأباريق البرونزية المكتشفة في كل من قبرص ورودوس ومصر أو بشكل أجزاء في بوشير وشيردز وفي المينا ورأس البسيط.

إن معرفتنا المبدئية حول العلاقات التجارية بين سورية وشبه الجزيرة الايطالية تظهر في إتروريا حيث التباين الفائق للتأثر الشرقي في الفن والتقنية منذ القديم. سوف نلقي بعض الضوء على التبادل الإقتصادي والحضاري وهذا هو هدف المقالة التي نحن بصددها وخاصة بالنسبة لما لم ينشر حتى الآن من البرونز الاتروسكي مما ورد من حوران.

هنالك آنية برونزية من هذا القبيل محفوظة في متحف متروبوليتان ـ نيويورك ـ ذات مقبض مرتفع (الشكل ٣) نشرت أولاً من قبل ج. م. أ. ريشتر وقد صنفت على الأرجح على أنها رومانية كما حفظ هناك إناء آخر مستطيل الشكل ذو فم مستدير ولشفته زاوية مستقيمة مزخرفة بحبيبات صغيرة كحبات العقد أما المقبض المرتفع فقد ثبت بشقين مع العنق وقد حدد بالأسفل بكف حيوان إلا أنه على هيئة قرطاس له زخارف وردية اللون حيث كان هذا الإناء قد اقتني من قبل المتحف الوطني بدمشق عام ١٩٤٢ وقيل بأن مصدره حوران. لقد أخطأت ج. م. أ. ريشتر تأريخه وذلك لأنها كانت متأثرة بسيادة التماثيل الرومانية والبيزنطية لتلك المنطقة إلا أنها أمتعت الباحثين منذ بداية القرن الحالي بدراساتها المفيدة وقد وافقت بآرائها ما كشفته الحفريات الأثرية لجامعة برينغتون برئاسة هـ. بتلر.

ويعتبر إناء نيويورك نموذجاً توضيحياً لمجموعة كبيرة من السلع المعدنية الأتروسكية المؤرخة في القرن الخامس قبل الميلاد، وقد برهن على ذلك بالمقارنة بين زخارف هذا الإناء والزخارف التي عثر عليها في مركز ايطاليا أو ربما أيضاً في الإناء البرونزي المحفوظ بمتحف اللوفر.

إن ارتباط العمل اليدوي يثبت بالتأكيد التشابه مع قطعة نيويورك فكلاهما اشتق على الأرجح من نفس القالب الذي صبت به أربع عرائس بحر مجنحة والتي تضم زخارف مسطحة وهذا يشير إلى المستقبل العام للأعمال المعدنية الأتروسكية الكلاسيكية. كما وأن هناك إناء أتروسكياً آخر من نفس الشكل وهو معروض في المتحف الاسكتلندي الملكي في ادنبرغ. كان قد وجد في ميناء غالاكسيدي في وسط بلاد اليونان. أما إناء نيويورك المشابه له فقد عثر عليه في سورية وربما كان قد صنع في أتروريا وصُدر إلى سورية.

أما بالنسبة لأواني مزج النبيذ الايطالية فقد اشتق تكوينها من مجموعة معادن مخروطية لنفس الغرض. وكانت هذه الأواني قد أنتجت خلال فترة قديمة وخلال

▪ راجع التعليقات والمراجع والصور في البحث الأصلي بالقسم الأجنبي

فترة كلاسيكية مبكرة في شمال جزر البيلوبونيز وقد صنعت على الأرجح في معامل كورنث وبُرهن على أنها أتروسكية العهد. أما إناء نيويورك فقد ورد إلى جنوب سورية بفضل التجارة معها. كما ويحتفظ بالمتحف الوطني بدمشق بإناء آخر لمزج النبيذ وقد عثر عليه في حوران أيضاً (الشكل ٢).

إن هذا الإناء هرمي الشكل وعنقه مشذب، وهو دقيق ولامع في الجزء العلوي منه، أما فوهته فمستطيلة وقد استخدمت ميزابته لسكب السائل، وجُعل القعر منفصلاً وهو مفقود الآن، أما البطن فقد صنع يدوياً وكانت نهايته العليا أخفض من القناع عند لحية الرجل، وأنه من الصعب معرفة شخصية هذا الرجل فهو غالباً وعلى الأرجح رب الخمر (ديونيزيوس) أما النهاية العليا للمقبض فمنحنية وقد نقش عليها رأس خروف، ولسوء الحظ لم تعرف كيفية الحصول عليه لا من سجلات المتحف ولا من خلال الصنعة الفنية، ففي سجلات المتحف ذكر أنه ربما عثر عليه في حوران ـ داعل.

إن ميزابة الإناء صممت بشكل نموذجي في ورشات أتروسكية وتعود إلى القرن الخامس قبل الميلاد وقد وجد ما يماثل هذه الأواني البرونزية على نطاق واسع في قبور وسط وشمال شرق ايطاليا. أمَّا رأس الخروف وقناع الرب باخوس فقد كانا بشكل زخرفي جميل، وتعتبر تلك الزخرفة طبيعة عامة للمعادن البرونزية الأتروسكية وخاصة مجموعة أواني مزج النبيذ، فضلاً عن ذلك فهناك موضوع أربع عرائس البحر المجنحة المقتبس من الأساطير اليونانية الاتروسكية وخاصة في نقش الصور المزخرفة المسطحة، أما الأواني البرونزية التي عثر عليها في مدن ڤيزوف فيشاهد المرء فيها تبايناً في الشكل ودقة في الصنعة، أما ما وصلنا إليه فهو أن اناء دمشق البرونزي هو تقليد لأواني منطقة كامبانيا في ايطاليا والتي هي على النمط الاتروسكي والمؤرخة في القرن الأول الميلادي.

إن طراز الأشكال الزخرفية على مقبض الإناء الدمشقي تشير إلى المعامل الاتروسكية الأصلية والتي تعود إلى القرن الرابع قبل الميلاد، وبذلك نصل إلى النتيجة التالية وهي أن كلا الإنائين البرونزيين المحفوظين بدمشق ونيويورك قد أنتجا في معامل اتروسكية وقد وردا إلى سورية عن طريق التجارة وخاصة في حقبة المملكة الأخمينية.

وإذا قمنا بإحصائية لحقبة ما قبل الرومان في سورية لرأينا تأثير الموانئ القديمة واضحاً على طول ساحل منطقة لاڤانتين حتى أنه على الفرد أن يتحدث هناك عن آلة صغيرة كهذه والتي هي على هيئة مخلب أسد (الشكل ٥) حيث نشاهد عليها سيلين (مربي ورفيق باخوس) مضطجعاً وقد أحنى رأسه فوقها. عثر عليها في تل سوكاس وهي مطلية ولكنها سيئة الصنع ويحدد تاريخها بالقرن الخامس قبل الميلاد.

لقد اقترح ب. أ. ريس أن مثل هذه القطع تعود بالأصل إلى بلاد كورنث لكنه وجد نفسه غير قادر على ايجاد شبيه لها، (الشكل ٥) ودراسة ف. جورجيت بلانك تشير إلى أن الأواني البرونزية المكتشفة في تل سوكاس هي أتروسكية، ومن صنع معامل ڤولشنتيان.

وما زال هناك مثل آخر على الأدوات البرونزية المنزلية وقد جلب إلى سورية. وهو عبارة عن ابريق عثر عليه في المينا (الشكل ٤) ويتفق من حيث الشكل والصنعة مع إناء كروي أجوف له قاعدة مسطحة كما أن الجهة الجانبية للعنق لها فوهة اسطوانية، أما المقبض فقد ارتفع عالياً وثبت عند الشفة والأكتاف.

يعطينا هذا المثل فكرة واضحة عن تطور وتقدم الإنتاج التجاري، سيما إذا عرفنا أن مكان العثور عليه هو المينا والذي يقع عند مصب نهر العاصي في البحر الأبيض المتوسط حيث كان المرفأ المثالي الذي له دلالة عربية ويجلب التجار البضائع إليه من كل الأقطار المتحضرة في التاريخ القديم.

إن مكان العثور على هذه الآنية البرونزية يعطينا فكرة واضحة لتاريخه وهي الحقبة الحديدية حيث صُدرت فيها البضائع من بلاد اليونان وخزنت خارج هذه المناطق ولذلك فإن هذا الإناء نموذج هام للفن الاتروسكي خارج حدود ايطاليا. ـ (قارن ج. د. بيزلي)، الذي صنف مجموعة أواني النبيذ المعدنية. وقد زين مقبض هذا الإناء بتعليقة بيضوية نقش عليها تسع وريقات نخيل وقد وجد في بعض الأحيان فوق وريقات النخيل شكل لبرعم وردة اللوتس.

إضافة لذلك فإننا نلاحظ أيضاً نفس الصناعة المعدنية في مجموعة أخرى عثر عليها في ڤولشنتيان، كما وأن هناك مناظر ملونة على مقبض أواني خالكيديون. أما على

الكؤوس المعدنية فنشاهد بوضوح رموزاً للمكان الأصلي وهو إترووريا وقد حدد تأريخها في النصف الثاني من القرن الخامس قبل الميلاد. لقد انتشرت صناعة تلك الأواني من ايطاليا إلى كافة مناطق شرقي المتوسط وقد ألقت التنقيبات في جزر رودوس وساردس وقبرص ضوءاً على ذلك.

الخاتمة

إن التوزع الجغرافي لأمكنة العثور على مثل هذه الأواني البرونزية (الشكل ١) يقودنا إلى النتيجة التالية :

إن هناك بضائع كمالية مختارة من العهد الاتروسكي صدرت عن طريق البحر التيراني الى أسواق لاڤانتين ومنها إلى سورية. عثر على مثيل لهذه البضائع في الجنوب الغربي لسواحل آسيا الصغرى وقبرص وهذا دليل على النشاط التجاري لحوض البحر المتوسط.

كما ويبدو ممكناً أن التجارة كانت منتظمة في البلاد الإيونية والفينيقية والعربية، كل هذا كان في القرن الرابع قبل الميلاد وخاصة في الأرخبيل الايجي حيث صدرت هذه كهدايا نذرية إلى الرب العربي (ود) في جزيرة ديلوسي. سمي / كانا / سابيان أو / أدراميتا / حضرموت في جنوب آسيا الصغرى ربما عادت إلى الامبراطورية العربية، وبالتأكيد / سابيان / في المنطقة العربية السعيدة وتجارتها كانت رائجة رواجاً عظيماً سيما بعد اكتشافها الطريق التجاري للبحر الأحمر.

أما بالنسبة لموقف جنوب الجزيرة العربية من هذه التجارة فلم تكن صاحبة السيطرة على تجارة البلاد العليا بين حضرموت وفلسطين وغزة بل كانت نقطة الوصل منذ أقدم العصور بين البحر الأحمر والهند.

إن هذه البضائع المعدنية الأتروسكية قد وصلت من ميناء لافانتين إلى جبل الدروز بفضل التجارة السورية ـ الفلسطينية عابرة سلسلة الجبال الساحلية، أو شحنت عن طريق نهر العاصي الواقع في سهل حمص. لقد انتشرت هذه البضائع وازدهرت بفضل أسواق حوران والأراضي العالية لشرق جبل لبنان وحتى الحاضرة المركزية دمشق.